مجلة الرائد

العدد : ٢٠٢ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٩ ميلادي

عنوان المقال : سنة الابتلاء –٣–	الكاتب : د. موفق الحكيم

علماء السوء : أو ما يسمى علماء السلاطين ، وهم من أشد أعداء دعاة الحق وطُلاب العدل ، وأنصار النور .

قوم تجدهم في كل **عصر ومصر وقصر** . باعوا دينهم بدنيا غيرهم ، فلبئس الشاري والمشتري ، واشتروا متاع الدنيا الفاني بنعيم الآخرة الباقي ، فلبئس القاني والمقتني .

أصدروا الفتاوى عن **هوى ، أو حسد ، أو غفلة ، أو ضلال** ، بحق الفئة المؤمنة الداعية الواعية ، واستغلوا الإسلام ، والإسلام منهم براء...

لم يستخدموا علمهم ومعرفتهم في نصر دينهم ، بل في تحقيق رغباتهم وتحصيل شهواتهم ولم ينصروا دعاة الحق ، بل تألبوا عليهم لينصروا أصحاب السلطان الباطل ، والملك الزائل ، أحقوا الباطل وأبطلوا الحق طمعاً في رضا سلطان فان أو منصب زائل أو غرض زائف .

هم قدماء معاصرون ، تجدهم في كل زمان ومكان ، ولعل أبرز دعاتهم وأفضل قدوتهم علماء اليهود ثم النصارى الذين عرفوا الحق وتنكبوا له ، أو جهلوه ، فضلوا وأضلوا ، واشتروا برسالاتهم ثمناً بخساً ، فحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة ، يقول الإمام العظيم ابن القيم رحمه الله :

« انقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به ثلاثة أقسام ، لأن العبد إما أن يكون عالماً بالحق أو جاهلاً به . والعالم بالحق إما أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفاً له . فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة . فالعالم بالحق العامل به هو المنعَم عليه وهو الذي زكّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو المفلح : { **قد أفلح من زكّاها** } ، والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه ، والجاهل بالحق هو الضال . والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل ، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل ، فكل منهما ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته أولى بوصف الغضب وأحق به ، ومن ههنا كان اليهود أحق به : { **بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب** } [آل عمران:٩٠] ، والجاهل بالحق أحق باسم الضلال ، ومن هنا وصفت النصارى به : { **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** } » .

ويقول الإمام الشعبي : كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم . ويعلق الإمام ابن تيمية رحمه الله على كلام الشعبي فيقول : « وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون ، وإنما يُضلهم علماؤهم » [الإيمان:٢٧٠] .

والبون شاسع ، والفرق واسع بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا .

فعلماء الآخرة كانوا وما زالوا يتجنبون صحبة السلطان ، ويمتنعون عن أخذ أعطياته ، ولا يستجيبون لرغباته وغير حريصين على كسب مرضاته . أرسل أبو جعفر المنصور إلى المحدث والفقيه العظيم سفيان الثوري رحمه الله ، فلما دخل عليه قال : سلني حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قال : وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم . قال : فإن حاجتي إليك ألا ترسل لي حتى آتيك ، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك ، ثم خرج . فقال المنصور : ألقينا الحبّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان الثوري ، فإنه أعيانا فراراً... وفي هذا يقول الإمام سفيان الثوري : ما أخاف من إهانتهم لي ، وإنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم .

وبعث أبو جعفر المنصور إلى الإمام جعفر الصادق رسالة يقول فيها : لماذا لا تزورنا كما تزور الناس ؟! فرد عليه جعفر بقوله : ليس لنا في الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنئك بها ، ولا في نقمة فنعزيك بها . فبعث إليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا ، فرد عليه جعفر الصادق : من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك !!.

وسأل سليمان بن عبد الملك التابعيّ الجليل أبا حازم فقال له : هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : كلا ، قال : ولم ؟! قال : إني أخاف أن أركن إليكم قليلاً ، فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا يكون لي منه نصير . قال : يا أبا حازم ، ارفع إليّ حاجتك . قال : نعم ! تدخلني الجنة وتخرجني من النار . قال : ليس ذلك إلي . قال : فما لي حاجة سواها . قال : يا أبا حازم أوصني . قال : نعم ، سوف أوصيك وأوجز : نزّه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . قال سليمان : يا أبا حازم هذه مئة دينار ، أنفقها ولك عندي أمثالها كثير . فرمى بها وقال : والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي ؟ إني أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً وردي عليك بذلاً ! إن كانت هذه المئة دينار عوضاً عما حدثتك فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل منها ، وإن

كانت من مال المسلمين فلا حاجة لي فيها . إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حتى كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم ، فلما نُكسوا وسقطوا عند الله تعالى وآمنوا بالجبت والطاغوت ، كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم في دنياهم...

ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله : « إن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمن الخلفاء الراشدين ، وكانوا مستشعرين ظلمهم ، ومتشوقين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين ، وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم ، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال أو إذلال ، بل كانوا يتقلدون المنّة بقبولهم ويفرحون به ، وكانوا يأخذون منهم ويُفرقون ، ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ، ولا يكثرون جمعهم ، ولا يحبون بقاءهم ، بل يدعون عليهم ، ويطلقون اللسان ، وينكرون المنكرات » .

أما علماء الدنيا فإنهم يسعون إلى صاحب السلطان وإن لم يسع إليهم ، تراهم أفواجاً على بابه ينتظرون ، ولمرضاته يسعون ، ولرغباته يحققون ، يستذلهم فلا يأنفون ، ويمتهنهم فلا يكترثون أو يبالون . مرّ الحسن البصري بباب الأمير ابن هبيرة ، فإذا هو بالقراء على الباب ، فقال : ما يجلسكم ههنا ؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء ، أما والله ما مجالسهم بمجالس الأبرار . تفرقوا فرّق الله بين أرواحكم وأجسادكم ! قد شمرتم ثيابكم ، وجززتم شعوركم ، فضحتم القراء فضحكم الله ، أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم... ويقول الإمام الجليل سعيد بن المسيب ﷺ : « إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص » . ويقول الإمام جعفر الصادق : « الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم » .

وعلماء الآخرة تراهم زاهدين في الدنيا وما فيها ، تسعى إليهم ولا يسعون إليها ، تُجبى إليهم أموالها فيوزعونها ، ولا يهتمون بزخارفها وزينتها ، رضوا بالقليل احتساباً وطمعاً بالعظيم عند رب العالمين ، يعيشون على النذر النذير ، ويقدمون الخير الكثير ولذا أحبهم الناس ووقرهم السلاطين . دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه يسأله ، فقال له : يا أبا سلمة ما لي كلما نظرت إليك ارتعدت فرقاً ؟! قال حماد : حدثني ثابت البناني قال : سمعت أنساً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، وإذا أراد أن يكنز الكنوز هاب كل

شيء » . ويقول الإمام عبد الله بن المبارك : إن العلماء ورثة الأنبياء ، فإذا كانوا على طمع فبمن يقتدى ؟ ويقول أيضاً : من شرط العالم أن لا تخطر محبة الدنيا على باله ، ويقول أيضاً : كيف يدعي رجل أنه أكثر علماً وهو أقل خوفاً وزهداً . وينسب إلى الخليفة عمر الفاروق ﷺ قوله : « يا أهل العلم والقرآن لا تأخذوا للعلم ثمناً فتسبقكم الدناءة إلى الجنة » .

أما علماء الدنيا فتراهم يسعون جاهدين لاهثين في جمع الأموال وامتلاك الضيع والعقارات ، وأصبحوا أرباباً للمؤسسات والشركات ، يتعاملون بالحلال والحرام ، ويأكلون أموال الأيتام ، استولوا على أموال الأوقاف ووزعوه بينهم وبين أنصارهم وأقاربهم والحكام ، لم يردعهم علم ولا معرفة ، ولم يوقف جشعهم خوف من الله أو خشية ، اتخذوا الدين مطية لأغراض الدنيا وشهوات النفس وشياطين الإنس . جاء في العقد الفريد [ج٢:ص٨٠] : قال عيسى بن مريم : سيكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ويرغبون في الآخرة ، ينهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون ، يقربون الأغنياء ويبعدون الفقراء ، ويتبسطون للكبراء ، وينقبضون عن الفقراء ، أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن ، ويقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله : « شرار الناس صنفان : عالم يبيع دينه لحاكم ، وحاكم يبيع آخرته بدنياه » . ويقول الشاعر :

ما أقبح التزهيد من واعظٍ ... يُزهّد الناس ولا يزهدُ

لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيته المسجدُ

ويرفض الدنيا ولم يقنها ... ولم يكن يسعى ويسترفدُ

ويقول المعري :

صمْ ثم صلِّ وطفْ بمكة زائراً ... سبعين لا سبعاً فلست بناسكِ

جهل الديانة من إذا عرضت له ... أطماعه ، لم يُلفَ بالمتماسكِ

يقول الله تعالى : { **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون** }[آل عمران: ١٨٧].

عنوان المقال : سنة الابتلاء –٣–	الكاتب : د. موفق الحكيم

يقول الأستاذ الحبيب عصام العطار في « التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم » معقباً على هذه الآية ، وكيف أن بعض العلماء يكتمون الحق وما استودعوا من العلم تجاه بعض الحكام الذين يُحرِّفون الإسلام أو يشتمونه دون تهيب ولا وجل : « لقد كان في قلوبهم خشية المخلوق ، ولم تكن في قلوبهم خشية الخالق ، فسكتوا عن الباطل ، وعجزوا عن إعلان كلمة الحق ، ولو كان في قلوبهم خشية الخالق لا المخلوق ، لكان لهم موقف آخر يشمخ فيه الحق ويخنس فيه الباطل وتهتز له أعطاف العالم الإسلامي ، ويردد صداه التاريخ إلى مدى بعيد ».

للبحث صلة